المحاضرة السابعة

أدب الرحلة، المفهوم والتاريخ

الرحلة شكل من أشكال السرد العبي القديم، وارتبط بالرحلات التي كان يسافرُ فيها الرحالةُ العرب لاكتشافِ أراضٍ جديدةٍ لم تكن معروفةً في من قبل.

تعربف أدب الرحلة:

الرحلة مشتقة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا. والرحلة قديمة قدم الإنسان وما من أمة إلا وقد جربت الارتحال بشكل أو بآخر.

نعني بأدب الرحلة ذلك النص الذي يصور فيه الكاتب، بأسلوب أدبي كليا أو جزئيا، ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور، أثناء الرحلة، وأيضاً يعرفُ أدب الرحلة بأنه كافة المؤلفات، والمدونات، والمخطوطات التي وصلتنا من العصور الماضية، والتي تحتوي على مجموعةٍ من المشاهداتِ، والقصص التي عاصرها الرحالةُ في الأماكن التي وصلوا إليها، ويشملُ أدب الرحلة على نقلِ مواصفات الطبيعة الموجودة في مناطق العالم غير المكتشفة، وأيضاً يحتوي على سردٍ حول العادات، والتقاليد السائدة عند الشعوب الذين عاشوا في تلك الأراضي، والمناطق.

تاريخ أدب الرحلة :

منذ ذلك القرن القرن الثالث الهجري– وهو عصر النضج والازدهار في الكتابة والتأليف في الثقافة العربية بشكل عام– بدأت مجموعة من الكتّاب يؤلفون كتبا عن أسفارهم، ولكن تلك النصوص جاءت في بداياتها على هيئة كتابات في الكشوف الجغرافية وحدود البلدان والأقاليم، ثم أصبحت الكتابة عن الجغرافيا والأقاليم تُكتب بأسلوب أدبي لدى بعض الكتّاب إلى أن صارت الرحلة في حد ذاتها هدفا مستقلا وتحولت الكتابة عنها إلى جنس أدبي له خصائصه، بحيث أُصطلح في العصر الحديث على تسمية كتابات السفر عموما بأدب الرحلة.

ومن أشهر الرحالة العرب نذكر: الإدريسي، والمسعودي، وابن بطوطة، وابن فضلان، وابن جبير ، والذين اهتموا بتوثيق رحلاتهم، وكتابة القصص التي حصلت معهم في الأماكن التي ذهبوا لها، ومنهم من اهتم بجغرافيّة تلك الأماكن فعمل على رسم الخرائط التي تقدمُ وصفاً للتضاريس الجغرافية التي تعرفوا عليها.

ومن أهم المؤلفات في أدب الرحلة:.

–كتب (الأقاليم) و (البلدان الكبير) و (البلدان الصغير) للغوي المؤرخ هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت 204هـ / 819 م)..

–نصوص سليمان التاجر) (ت. بعد 237 هـ / 851 م). ولم يُعرَف العنوان الذي وضعه لها، ولذا سُميت فيما بعد برحلة سليمان التاجر.

وهو نص كتبه عن أسفاره التجارية عبر البحار إلى الهند و الصين، يحوي النص وصفا للطرق التجارية، وحديثا عن بعض العادات والنظم الاجتماعية والاقتصادية في الهند والصين وبعض الجزر التي مرّ بها في الطريق. كما أن النص يحوي قصصا عن عجائب البحر وما يواجهه المسافرون من مشاقّ وأهوال. هنا موضوع عن رحلة سليمان التاجر .

–كتاب البلدانلقدامة بن جعفر (ت 337 هـ/ 948 م.

-رحلة ابن فضلان: لأحمد بن فضلان

-صورة الأرض) لأبي القاسم محمد بن حوقل (ت 367 هـ/977م

-عجائب البلدان) لأبي دُلف مسعر بن مهلهل الخزرجي اليُنبعي (ت حوالي منتصف القرن 4 هـ/ 10م.(

-تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة) لأبي الريحان؛ محمد بن أحمد البَيْرُوني (ت 440هـ/ 1048م

-نظام المرجان في المسالك والممالك) لأحمد بن عمر العذري الأندلسي (ت 477هـ /1085م

-تحفة الألباب ونخبة الإعجاب) لأبي حامد محمد بن عبد الرحيم الغرناطي الأندلسي (ت 565هـ / 1170م

-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي (560هـ / 1166م) وهو الذي وضع الخرائط لجميع أنحاء العالم المعمور آنذاك، وصمم كرة من الفضة جعلها صورة لكافة تضاريس العالم

-ترتيب الرحْلة للترغيب في الملّة" لأبي بكر بن العربي الأشبيلي الأندلسي (ت 543هـ

-معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت 626هـ / 1229م) وهو من أهم المعاجم الجغرافية.

–تاريخ المستبصر) ليوسف بن يعقوب الدمشقي المعروف بابن المجاور (ت 690 هـ / 1291م(
وقد وصف فيها بلاد الحجاز واليمن وحضرموت وسواحل الخليج العربي، وذكر بعضا من أخبارها وعادات أهلها.

–الرحلة المغربية) لمحمد العبدري المغربي (ت. نحو 700 هـ/ 1300م
وقد اشتمل كتاب العبدري على وصف جميل لبلاد الشمال الإفريقي ومصر والديار الحجازية المقدسة.

–تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لأبي عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت 779هـ / 1377م، ويعد كتابه من أكثر كتب الرحلة شيوعا لطول سنين رحلته التي قاربت الثلاثين، فضلا عن احتوائه على كم هائل من المعلومات عن الشعوب التي زارها مع معلومات جغرافية وإثنوجرافية كثيرة. ويُعرف عمله اختصارا برحلة ابن بطوطة

) –التعريف بإبن خلدون ورحلته شرقا وغربا) لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ / 1406م (
وكان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، مع ذلك فالكتاب يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربية، إذ تنوعت موضوعاتها وكثرت مخاطرها.